

ملخص خطبة الجمعة

يتابع حضرته حديثه عن سيدنا بلال رضي الله عنه، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر فسار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل (أي أخبرنا عند وقت الصلاة وأيقظنا عند موعد صلاة الفجر) فصلى بلال ما قدر له ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .. فغلبت بلالاً عيناه .. فلم يستيقظ بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً ... ثم تَوَضَّأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة قال من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة يوم فتح مكة أعلن بين الناس أنه من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن". وقال صلى الله عليه وسلم: أعدوا راية لبلال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم راية بلال لأبي رويحة وقال له: هذه راية بلال، فليقم في عارض الطريق حاملاً إياها، وليعلن أن الذي يأتي تحت راية بلال فهو أيضاً آمن. كان السبب وراء ذلك أن سيدنا بلال رضي الله عنه لم يكن لديه أقارب في مكة ولم يكن يملك أية قوة في مكة وما كان له صديق فيها، فكان هذا المسكين يُظلم بما لم يُظلم به أحد، وهكذا يكون صلى الله عليه وسلم قد انتقم من أولئك الذين عذبوا حضرة بلال رضي الله عنه بأن جعله اليوم سبباً في لآمنهم.

وفي رواية أن نجاشي الحبشة كان قد أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رماح فاحتفظ النبي صلى الله عليه وسلم بأحدها لنفسه وأعطى الثاني لسيدنا علي بن أبي طالب وأعطى الثالث لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والرمح الذي كان قد احتفظ به النبي صلى الله عليه وسلم كان بلال يحمله يوم العيد ويمشي أمام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينصبه في ميدان صلاة العيد فيصلي صلى الله عليه وسلم تجاهه. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي سيدنا بلال حاملاً ذلك الرمح أمام سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.

لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلال يؤذن، فإذا قال "أشهد أن محمداً رسول الله" انتحب الناس في المسجد، فلما دُفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر: أذن. فقال له: إن كنت أعتقتني لأن أكون معك، فلك ذلك، وإن كنت أعتقتني لله فحلني ومن أعتقتني له. فقال: ما أعتقتك إلا لله. قال: فإني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فذاك إليك. فأقام في المدينة حتى خرجت بعوث الشام في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه، فسار معهم.

وجاء في رواية أن بلالاً مرة رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: "ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا" فانتبه حزينا، فركب إلى المدينة فأتى قبر النبي ﷺ وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه، فأقبل الحسن والحسين، فجعل يقبلهما ويضمهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذن في السحر، فعلا سطح المسجد، فلما قال: "الله أكبر، الله أكبر" ارتجت المدينة، فلما قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" زادت رجتها، فلما قال: "أشهد أن محمداً رسول الله" خرج النساء من خدورهن، فما رئي يوم أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم.

حدث زيد بن أسلم أن بني أبي البكير جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: زوج أختنا فلاناً، فقال لهم: "أين أنتم عن بلال؟" ثم جاؤوا مرة أخرى فقالوا: يا رسول الله، أنكح أختنا فلاناً، فقال: "أين أنتم عن بلال؟" ثم جاؤوا الثالثة، فقالوا: أنكح أختنا فلاناً، فقال: "أين أنتم عن بلال، أين أنتم عن رجل من أهل الجنة!" قال: فأنكحوه. (تاريخ دمشق)

لقد كتب حضرة مرزا بشير أحمد: ذات مرة جاء للقاء عمر رضي الله عنه في عهد خلافته، أبو سفيان وبعض من أسياد مكة الذين أسلموا عند فتحها واتفق أن حضر في الوقت نفسه بلال وعمار وصهيب وغيرهم أيضاً للقاء عمر رضي الله عنهم، وكان هؤلاء قد عاشوا عبيداً وكانوا فقراء جداً، ولكنهم كانوا من الذين أسلموا في أوائل الإسلام. ولما أخبر عمر رضي الله عنه بذلك، دعا للقاء بلالاً وغيره من هؤلاء العبيد قبل أولئك الزعماء. ويبدو أن أبا سفيان كانت لا تزال فيه بقية من نزعة الجاهلية، فلما رأى هذا المشهد استشاط غضباً، وبدأ يقول هل كان علينا أن نرى هذا العار؟ نتظر اللقاء ويكرم هؤلاء العبيد باللقاء قبلنا. فلم يلبث سهيلاً أن ردّ على أبي سفيان وقال من المذنب في ذلك؟ لقد قام محمد صلى الله عليه وسلم بدعوتنا جميعاً إلى الله تعالى، فسارع هؤلاء إلى تلبية نداءه أما نحن فتأخرنا في ذلك، فلم لا يفضل هؤلاء علينا؟ فعندما انفض الجمع أتوا عمراً رضي الله عنه وقالوا له: لقد جئناك نستشير في الأذى الذي تعرضنا له في مجلسك هذا اليوم، هل من سبيل إلى غسل هذا العار؟ فلما سمع قولهم اغرورقت عيناه، وأشار بيده إلى الشام حيث كان المسلمون يقاتلون جيوش قيصر الروم، وكان رضي الله عنه يعني أن وصمة العار هذه لن تمحى إلا إذا شاركتهم في ذلك القتال وضحيتم بأرواحكم. فخرجوا جميعاً من فورهم وركبوا جمالهم متوجهين ناحية الشام، ويخبرنا التاريخ أنه لم يرجع أيٌّ منهم حياً. هكذا محاً هؤلاء بدمائهم الزكية وصمة عارٍ تلتطخت بها جباههم نتيجة أفعالهم.

إذا فأولاً لا بد من تقديم التضحيات لنيل المكانة العالية، وثانياً إن من تعاليم الإسلام الجميلة أن الذين يضحون ويكونون من الأوفياء من البداية، فلهم المكانة العليا في كل حال، ولو كانوا من العميد أو من أي عرق ونسل، وقد بوأهم الإسلام هذه المكانة عن جدارة واستحقاق، وهذه المكانة ينالها كل إنسان، أيا كان، بغض النظر عن كونه من الأغنياء أم من الفقراء. فالذين يضحون، ويكونون أوفياء، ويضحون بأرواحهم، ويبدلون كلّ غال ورخيص، هم الذين ينالون هذه المكانة الرفيعة.